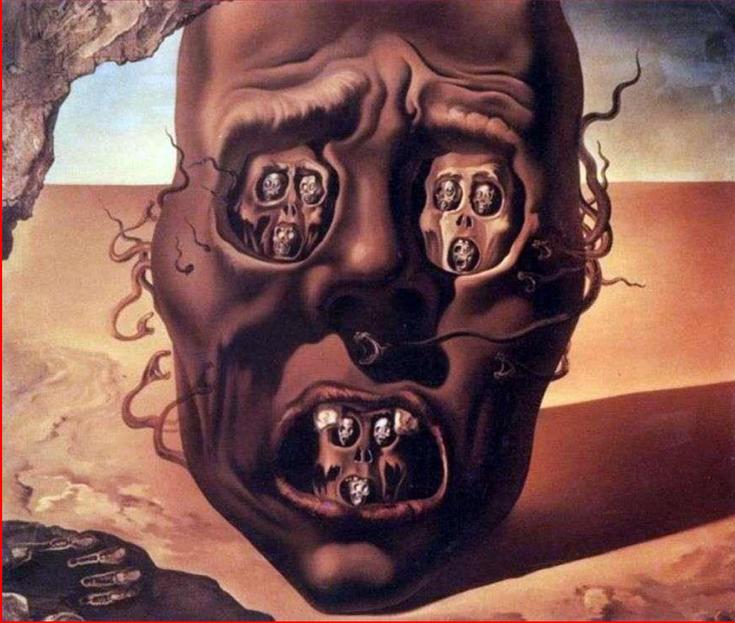


ديزيره سقال

كتاب الحرب



(الطبعة الثانية)

٢٠٢٠



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ بدیل
lisanerab.com

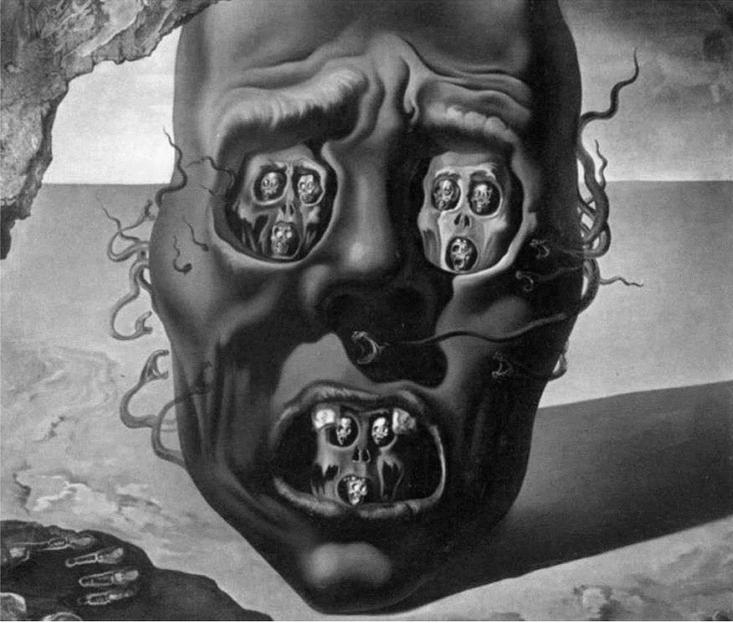
أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



ديزيره سقال

كتاب الحرب



(الطبعة الثانية)

١٩٩٠

قصيدة الشيء

(الشيء موجودٌ غير محدد في شكل أو
هيئة، ولا هو مرتبط بشخصية معينة. إنه
خلاصة الكلّ في الزمن الرديء، حين لا
يبقى اسم ولا كيان ولا وجود...)

والشيء لا يختصّ بكلّ زمان
ومكان، بل يختصّ بالعالم العربيّ عمومًا،
وبلبنان خصوصًا في السنوات الأخيرة
(الماضية.)

يُخْرَجُ مِنْ ثَقْبٍ فِي التَّرْبَةِ
أَوْ مِنْ ثَقْبِ الْبَابِ...

وقد يخرجُ من ثقبِ الروح
ومن ثقبِ الجسمِ / يقول الراوي:
كانت شمسُ الغربة تُشرقُ
في غاباتِ البلوطِ
على المفترقِ الأولِ من قلبي؛
ويكادُ الوطنُ الغائرُ في سوسنةٍ
أن ينسى عينيه على شباكِ جوارحنا،
أو ينسى بعضَ قوافي الشعرِ
بأوّلِ بابٍ من أبوابِ الألمِ.
ويقول الراوي:

مِنْ عَيْدِ السَّقَمِ
تَخْرُجُ عَيْنَانِ مُدَوَّرَتَانِ
وَتَخْرُجُ حَطَوَاتُ مِنْ قَلْبِ التَّرْبَةِ
أَوْ تَعْبُرُ حَطَوَاتُ

في بئر القلب؛

وقد تخرج عينان من الباب

أو الحائط

أو من ثقب الروح -

هنا أولاد الحارة

عمرهم حبل

وَعِيُونُهُمْ طَيَّارَاتٌ مِنْ وَرَقٍ...
وهنا صفصافٌ يحنو فوقَ ينابيعِ التربةِ،
يقطفُ من لونِ الماءِ
طباشيرًا للوحِ الأسودِ
أو
زنبقةً مشرقةً
لِحِقُولِ زنابقِ كانَ الأطفالُ يشيدونَ بها وطناً...
ويقول الراوي:
يُخْرِجُ مِنْ جَرَسِ الصَّمْتِ
بَأَرْضِ تَلْبَسُ قَبْعَةَ اللَّيْلِ،

وتلبسُ تحتَ جواربِها لحمًا محروقًا

وهضابًا من كرزٍ برِّيِّ
وكنائسٍ من فولاذٍ ورصاصٍ،
ومعابدَ للجرحِ بعينِ الأطفالِ...
يقول الراوي:

حينَ يُلامسُ موجَ البحرِ السَّمْتِ
ويخرجُ من عينيه السرطانُ البحريُّ
ويخرجُ ليلٌ مُسَوِّدٌ الفَيْءِ
يتجلَّى "الشَّيءُ"...

وطنٌ كالإبرةِ ينسلُّ إلى العرقِ،
وقد ينسلُّ إلى حُلْمٍ يُشبهه جلدُ الضَّبِّ /

"أَمْرٌ؟"

- "مَرَرْتُ أَنَا، لَكِنَّ الْوَقْتَ..."

- "أَمْرٌ؟"

- "أَدَارَ الْمَفْتَاحَ وَلَكِنْ لَمْ يُفْتَحَ بَابُ الْوَطَنِ..."

مَرَّ الْوَقْتُ

وَمَرَّ مُحَدِّثُنَا

وَأَدَارَ الْمَفْتَاحَ، وَلَكِنْ

لَمْ يُفْتَحَ إِلَّا بَابُ الْكَفَنِ!

وَطَنٌ كَالإِبْرَةِ يَنْسَلُّ إِلَى الْعِرْقِ

وَقَدْ يَنْسَلُّ إِلَى الْقَلْبِ،

يُصَافِحُنِي

وَيَعُودُ فَيَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ السَّرَطَانُ الصَّخْرِيُّ/
"نُوح؟"

- "بل جَرَسٌ وَصَهِيلُ الْبَرْقِ.

تَعَالَ أَتَّبِعْنِي...

أَعْنِي:

هَلْ بَعْتَ الْحَبْلَ الْمَشْدُودَ؟

أَتَّبِعْنِي،

وَأَقْفِلْ جَسَدَ الْوَقْتِ عَلَى الْوَقْتِ...

أَرَأَيْكَ بِمَوْتٍ -

أَعْنِي بِسَلَامٍ إِنَّ مُتَّ سَعِيدًا

(هَلْ مَاتَ "الشَّيْءُ"؟)

- "نُوحٌ؟"

- "بل حُطُواتٌ نحوَ القلبِ المثقوبِ.

أَبَعْتَ الوَقْتَ؟ تَفَضَّلْ

أَدْخِلْ هَذَا الوَطْنَ الشَّبَحِيَّ..."

وَلَكِنَّ البَابَ ضَبَابِيٌّ

وَالعَيَّ يُصَافِحُنِي

وَبِعْرُ

وَفِي شَفَقَتِيهِ بَسَمَاتٌ... بَسَمَاتٌ... بَسَمَاتٌ...

أَلَا نَجْمٌ عَنقودٌ مِنْ طَعْمِ "الحَرْبِ"

وَعُنُقُودُ الدَالِيَةِ انْتَشَرَتْ حَبَاتُ صَبَايَاهُ
وَصَبَايَاهُ صَفَدٌ:

"هَلْ تَصْطَادُ عَلَى شَطِّ الْمُتَوَسِّطِ؟"

- "أَصْطَادُ النَّاسِ

وَتَصْطَادُ النَّاسِ حِكَايَاتِ الْأَمَلِ الْمَرْهَقِ."

مَرَضَ "الشَّيْءُ". جَزَعْنَا.

عَاجَنَاهُ بِالْفَالِيَوْمِ وَبِالْأَفْيُونِ،

وَعَاجَنَاهُ بِالْإِبْرَةِ.

(هَلْ كَانَ يَرَى وَطَنًا كَالْإِبْرَةِ

يَنْسَلُّ إِلَى الْعَرْقِ؟

أَكَانَ يَرَى

"شيئاً" كالوطنِ المرْمِيِّ على خارطةِ القلبِ
 مِنْ الشَّرْقِ إِلَى العَرْبِ؟)
 - "أَتَصْطَادُ عَلَى شَطِّ المْتَوَسِّطِ؟"
 - "أَصْطَادُ النَّاسَ"

وَأُغْلِقُ يَوْمِيًّا كُلَّ رَمَادٍ
 يَتَمَطَّى فَوْقَ الخَارِطَةِ الكَبْرَى
 مِنْ بَحْرِ وَمَحِيطٍ،
 أَصْطَادُ الوَقْتِ وَأَخْتَرُ الكَرَزَ البَرِّيَّ
 وَأَطْرُدُ آخَرَ حَفْنَةِ شَمْسٍ
 مِنْ لَبْنَانَ إِلَى البَصْرَةِ،
 مِنْ شَطِّ العَرَبِ

إِلَى شَطِّ الْمُتَوَسِّطِ؛
أَصْطَاذُ الْوَقْتِ
وَيَصْطَاذُ "الشَّيْءِ" صَلِيلَ الْقَيْدِ الْمَتَسَرِّبِ

مَنْ ثَقِبِ الْبَابِ
إِلَى ثَقِبِ الشَّمْسِ
إِلَى ثَقِبِ الْإِنْسَانِ -
أُحَاوِلُ أَنْ أُفْعَلَ هَذَا الْأَمَّ الْهَابِطَ
مِنْ صَوْتِ الْأَجْرَاسِ
وَمِنْ مَعْدَنَةِ الصَّحْرَاءِ
وَلَكِنَّ "الشَّيْءَ" يَعُودُ إِلَيَّ
وَيَسْحُبُنِي فِي صَوْتِ رِذَاذِ الْقَتْلِ

إلى كيسِ الوطنِ المَخْنُوقِ بِمِمْحَاةِ العَرَبِ.
عَانَقْتُ الجُوعَ وَأَنْكَرَنِي نَسْبِي

وَسَأَلْتُ الرَّاوِي: "أَيْنَ أُحُوَّتُنَا؟"
كَانَ الصَّمْتُ يَلْفُ الدَّمْعَ
مِنَ المِتْوَسِّطِ، مِن أَقْصَى الكَوْنِ
إِلَى شَطِّ العَرَبِ...

عَيْنٌ تَهْبِطُ مِن بَرَجِ الصَّمْتِ وَتَرْمُقُنَا.
عَيْنٌ تَصْعَدُ مِن عَشْبِ الأَرْضِ وَتَرْمُقُنَا.
عَيْنٌ تَخْرُجُ مِن ثُقْبِ الأَرْضِ وَتَرْمُقُنَا.

عَيْنٌ تَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ...

عَيْنٌ تَعْلُو فَوْقَ شَرِيطٍ عِنْدَ جَنُوبِ الْأَرْضِ وَتَرْمُقُنَا.

عَيْنٌ تَدْخُلُ مِنْ بَابٍ مَفْتُوحٍ

عِنْدَ شِمَالِ الْأَرْضِ وَتَرْمُقُنَا.

لَكِنَّا، مُنْهَمِكِينَ بِقَطْفِ الْكَرْزِ الْبَرِّيِّ مِنَ الْأَحْلَامِ

وَمُنْهَمِكِينَ بِوَصْفِ اللَّيْلِ

وَمُنْهَمِكِينَ بِجِنْسِ مَلَائِكَةِ الْجَنَّةِ

لَا عَيْنَ لَنَا تَرْمُقُ أَنْفُسَنَا!

"الشيءُ" يَنْحَنِي عَلَى السَّمَاءِ

أو على التراب،
 يجمعُ الحنِينِ والحصى
 ويُخْبِرُ السنينَ عن فتوحِهِ.
 (و"الشيءُ" يغزلُ المسافةَ الجريحةَ
 على عيونَ ليلِهِ
 - وليلُهُ يُشْبِهُنَا -
 ويطرقُ الأبوابَ،
 يُخْبِرُ النجومَ عن عيونِهِ الجريحةَ
 وينحني على السماءِ -
 تُسدِلُ السماءُ فوقَها ستارَها،

تُسَدِّلُهُ أَيَّامُهُ الْجَرِيحَةَ...

كُلُّ جَدِيدٍ صَارَ قَدِيمًا...

كُلُّ قَدِيمٍ صَارَ قَدِيمًا...

كُلُّ جَنُونٍ صَارَ قَدِيمًا...

و"الشيء" قَدِيمًا...

يَرَقِصُ صَمْتُ فَوْقَ الصَّمْتِ:

سَيَأْتِي زَمَنٌ

يَتَلَوَّنُ فِيهِ اللَّيْلُ بِلَوْنِ النُّورِ،

سيأتي زمنٌ
يتحوّل فيه سريرُ العاشقِ حقلَ بَحُورٍ،
والعاشقُ نجمًا
أو أشجارَ صلاةٍ...
يرقصُ صمتٌ فوقَ الصمتِ
سيأتي زمنٌ
يهبطُ فيه الفجرُ من الليلِ
ويجلسُ قربي (يولدُ في الخمرِ
وعيناهُ عنبٌ
ويداهُ دَوَالٍ...)

يأتي زمنٌ
يحملُ في الشاعرِ منْ حبرِ قصيدتهِ
جسدَ الجنَّةِ
أو... مطرَ التكوينِ...

خرجَ "الشيءُ" إلينا
باحثًا عن لغةٍ تُشرقُ من قلبِ الفضاءِ،
باحثًا عن جسدِ
يَلْبَسُهُ، ويدِ

تُخْرِجُ الْأَشْيَاءَ مِنْ حُكْمِ الْهَبَاءِ -

خَرَجَ "الشْيءُ" إِلَيْهِ:

إِنَّهُ يَمْشِي وَيَمْشِي خَلْفَهُ

جَرَسُ الْآتِي

وَأَحْلَامُ السَّمَاءِ...

(١٩٨٨ / ٩ / ٧)

الهباء

هابطاً من أُفُقِ الصمّتِ
وعَيْنَايَ شموغُ
أَقْرَأُ الأَرْضَ، وَأَرْفُو
لَعَةَ الأَرْضِ بِأَحْلَامِ وَجوعٍ -

هابطاً من أُفُقِ الصمّتِ
أُسْوِي مَهْجَتِي بِالأَرْضِ

(هذا وطنٌ يعرفُ أنْ يبتلعَ الرعبَ، وهذا

ماردٌ من ورقٍ

يَدْعُونَهُ الشَّعْبَ!
أُسْوِي مَهْجَتِي بِالرَّمْلِ:
هَلْ كَانَ الْمَدَى
يَسْأَلُنِي عَنِ طَائِرِ الشَّرْقِ؟
وَلَكِنْ
لَيْسَ بَيْنِي وَالسَّمَاءَ
غَيْرُ صَحْرَاءٍ مِنَ الشَّمْعِ
وَصَحْرَاءٍ مِنَ الدَّمْعِ

وَصَحْرَاءٍ عَلَى دَفْتَرِهَا الْفَارِغِ
تَارِيخُ الْهَبَاءِ.

(إِنَّهُ يَنْثُرُ قَهْوَتَهُ حَبَّاتِ هَالٍ
 وَعَلَى الْهَالِ دَرُوبًا لِلضِّيَاعِ -
 أَتُرَى يَخْرُجُ مِنْ بئرِ يَدَيْهِ
 أَمْ، تُرَى، مِنْ رِئَةِ الْوَقْتِ؟)
 يَمُرُّ الْوَقْتُ فِي الدَّرْبِ كَأَسْرَابِ الصَّبَايَا
 حَامِلًا بَاقَةَ رِيحٍ؛

يَدْخُلُ الدَّارَ إِلَيْنَا
 نَدْخُلُ الْحَائِطَ/ مِنْ أَيْنَ؟/
 وَقَدْ نَدْخُلُ مَا يَشْبَهُ شَكْلَ الْقَلْبِ مِنْ بَابٍ
 وَمِنْ نَافِذَةٍ مُسْرِعَةٍ.

يسألنا الوقتُ: أما زالَ الفضاءُ

فرسًا جامحةً؟

لكنَّهُ سرعانِ ما يرحلُ

في قصرِ الهباءِ...

وقَعَ العصرُ على غصَّتِهِ:

قطَّرتْ نافذةُ الحقلِ دموعًا؛

قطَّرتْ لوزًا رماديًّا وظلًّا مُحرقًا.

وقَعَ العصرُ على غصَّتِهِ:

يهربُ من فجرٍ إلى فجرٍ

وَلَكِنَّ الْمَدَى

فَحَمُّ...

ويلوي صَوْتَهُ،

يُدْخِلُهُ فِي نُقْبِ الْمِفْتَاحِ -

لا يَنْفَتِحُ الْبَابُ...

ويبقى الوقتُ مقفولاً

على عصرٍ جليديٍّ...

عَبْرَنَا

من جَحِيمِ الشَّفَةِ السُّفْلَى إِلَى

شَفَةِ الْأَرْضِ:

نَبَشْنَا -

كانت الأرض حجارًا وغبارًا،
(إسحب الريشة واكُتب في عظامي.)
كانت الأرض هباءً
ومن النافذة العجلى خرجنا

وسقطنا في المدى -
كانت الأرض صحارى من هباءٍ
يُنصبُ التاريخُ فيها خيمًا
لشعوبٍ من صدَى...

يسألُ الصمتُ الصدى:

هل يهبطُ اللهُ إلينا
من عيونِ العَيمِ؟
هل تلتصقُ الأرضُ بأهدابِ السماءِ؟

يَسألُ الصمْتُ:
أشَعْبُ تَعَبُرُ النارُ عليه
كَانَ فِيهَا القاتِلِ المقتولِ،
وانضَمَّ إليه
وطَنٌ يسكنُ في عَيمِ الهباءِ...؟
يسألُ الصمْتُ ولكنْ
ليسَ بينَ الصمِّ والصمِّ سوى
خارطةِ الليلِ وإيقاعِ الخِواءِ...

هابطاً من أفق الصمتِ

وعيناي تُرابٌ:

هَبَطَ الليلُ إلينا من عيونِ الغيمِ.

كُنَّا خارجَ الوقتِ / تُرى

هل دَخَلتْ في جِلدِنا الشمسُ؟

تساقطْنَا طويلاً، ورحلْنَا

في عيَاءِ الطُّرُقِ المَكْتَنَزَةِ.

كيفَ نمضي

في خروجِ العصرِ من معجزةِ الوقتِ

ونحنُ المعجِزَةُ؟

هَبَطَ اللَّيْلُ إِلَيْنَا:

ذاتَ فَجْرِ

أَسْرَجَ الوَقْتَ، وَرَشَّ الوَقْتَ بِالْحَلْمِ فَنَامَا.

وَتَلَقَّتْنَا إِلَى الْأَرْضِ، رَأِينَا

كَيْفَ صَارَ اللَّيْلُ صَحْرَاءَ

وَصَارَ الوَقْتُ رَمَلًا

وَالتَّوَارِيخُ حُطَامًا...

أَسْرَجُوا النَّارَ،

أَكْسِرُوا بَابَ الْحِصَارِ:
خَرَجَ الْمَارِدُ مِنْ كُنْتَبِ الصِّغَارِ...

(١٢ - ١٤ / ٩ / ١٩٨٨)

الصقر والحجر

(إلى أبطال الحجارة في الأراضي المحتلة.)

- ١ -

يسألُ اللهُ عن الدنيا، ولكنْ

لا جوابُ:

أَرْضُهُ قَفْرٌ، وَكَفَّاهُ سَرَابٌ...

- ٢ -

يَمْضَعُ الْقَفْرُ زَمَانَ الشَّهْدَاءِ.

كَانَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالرَّمْلِ

سَرَابٌ حَضَبَتْهُ الشَّمْسُ فِي شَهْوَتِهَا،

أُمَّةٌ عَقَّرَهَا الْعَارُ -

يَضِيْعُ الْعَمْرُ

وَالْآيَاتُ كُفِّرَ فِي الشِّفَاءِ

وَالْأَنْجِيلُ هَبَاءٌ مُطْرَقٌ

يَسْكُتُ عَنِ هَوْلِ الْجَرِيْمَةِ!

كَانَ بَيْنَ الرَّمْلِ تَارِيخٌ

تقاسمنا به العار،
لبسناه عيوناً
ورفعناه فُوحاتٍ وصحراءٍ وليمّة.
ثمّة القفر... زمان القفر...
لكنّ شهاباً
يجرّح الليل
ويرتدُّ إلى الآفاقِ
صقراً طافراً من مُهجة الأرضِ
وأحشاء الزمانِ
يُعيدُ المركبَ المكتظَّ بالعُربِ

إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ...

- ٣ -

يَسْأَلُ اللَّهُ عَنِ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ

لَا جَوَابُ:

أَرْضُهُ قَفْرٌ وَكَفَّاهُ سَرَابٌ.

يَسْأَلُ اللَّهُ وَيُعْجِبُهُ الصِّدْقُ

(أُمَّةٌ مَذْهُولَةٌ بِالصَّقْرِ
يَلْتَمُّ جَنَاحَهُ ضَمَائِرُ
حَضَبَتُهُ الشَّمْسُ فِي شَهْوَتِهَا
وَسَقَاهُ الرِّعْدُ،
نَمَّتْهُ الْمَجَامِرُ -
أُمَّةٌ مَذْهُولَةٌ بِالصَّقْرِ فِي مَرْتَعِهَا
تَمْسَحُ الْأَرْضَ
وَتُخْفِي عَارَهَا
وَتَنَامُ...)
سَأَلَ اللَّهَ... فَأَبْكَّتُهُ الْخِيَامُ:
أُمَّةٌ يَيْصِقُهَا التَّارِيخُ

تَبْكِي حَوْلَهَا الْأَطْلَالُ

و"الْفَتْحُ"،
وَيَبْكِيهَا الْأَنَامُ.

- ٤ -

ومضئُ القَهْرِ...
وتاريخُ من القَهْرِ الطويلِ -
عَمَسَ الكُلُّ يديهم بِدِماهُ،
حاصروهُ بالعويلِ،

سَمَّوَهُ لاجئًا في أرضِهِ...
ثمَّةَ القفرِ ورمُلِ القفرِ

وَالْعُرْبُ

وَتَارِيخُ مِنَ الصَّمْتِ الرَّهِيْبِ

غَيْرَ صَقْرٍ خَارِجٍ مِنْ غَضَبِ الشَّمْسِ

وَإِعْصَارِ الْمَغِيْبِ،

قَالَ: "لَا قَفْرٌ، وَلَا زَمْلٌ وَعَاؤُ -

أَنَا قَصْفُ الرَّعْدِ

وَالتَّارِيخُ فِي عَيْنِي طِينٌ وَابْتِكَارٌ..."

ضَرَبَ الصَّقْرُ جَنَاحَيْهِ وَطَارَ.

خَلَّفَ الْأَرْضَ

وَفِي الْأَرْضِ رِيْحٌ وَغُبَارٌ...

قيامه

- ١ -

غَضَبٌ فِي عَصَبِ الْأَرْضِ

وَفِي الشَّمْسِ غَضَبٌ -

نَزَفَ الْجَرْحُ عَلَى الدُّنْيَا لَهَبٌ...

إِنَّهُ اللَّيْلُ -

يَنَامُ النُّجُومُ وَالْأَفْلَاقُ
لَكِنَّ عَذَابَ الْأَرْضِ يَبْقَى سَاهِرًا،

وينامُ البحرُ...
(مَنْ تُخْرِجُهُ الشَّمْسُ مِنَ النَّارِ
ويبقى نابضًا
كالعصبِ الطافرِ من زلزلةِ الأكوان؟
مَنْ

يَنْتَرِعُ النَّارَ مِنَ النَّارِ

ويبقى نابضاً؟)

إِنَّهُ اللَّيْلُ —

ينامُ الفجرُ والأفلاكُ

لَكِنَّ الأمانِي لا تنامُ...

عَظَبُ يَبْرُقُ فِي اللَّيْلِ

تَشَهَّتُهُ الأنامُ،

والمدى يسألُ عن بيروت:

بيروتُ ازْتَمَّتْ شَطَطاً مِنَ الأحجارِ

وَالأَصْدافُ فَرَّتْ...

والشُّرَيَّا

كَرَّزُ يَسْقُطُ فَوْقَ النَّاسِ...
مَنْ يَسْأَلُ عَنْ بَيْرُوتَ؟
(ليلُ المِوجِ طِفْلٌ،
وزمانُ البَحْرِ أزمانُ رَمادٌ...)

يُخْرِجُ المِوتُ مِنَ اللَّيْلِ
وَيَلْتَفُّ عَلَى اللَّيْلِ السَّهَادُ.

غَضَبٌ فِي عَصَبِ الأَرْضِ
وَفِي الشَّمْسِ غَضَبٌ
نَزَفَ الجِرْحُ عَلَى الدُّنْيَا لَهَبٌ...

- ٢ -

كَيْفَ يَنأى اللهُ عَنْ شَرْفَةِ بِيروتَ؟

(على وجهي بقايا غيمةٍ

تَحْتَرِفُ البرقُ...)

(وفي عينيَّ رَعْدٌ ومطرٌ...)

كَيْفَ يَنأى اللهُ عَنْ نَافذَةِ البَحْرِ،

يُحَلِّهَا حِصَارًا،
وَيَمَطُّ اللَّيْلَ دُعْرًا وَحَجْرًا؟

تَتَرُّ مِنْ أُمَّةٍ مَسْبِيَّةٍ
تَبْكِي عَلَى عَارٍ طَوِيلٍ،
وَمَغُولٌ رَافِقُوا الْفَجْرَ إِلَى زَنَانَةٍ،
شَجَّوْا جَبِينَ اللَّهِ /

(ليل)

طَارَ مِنْ جَبْهَتِهِ وَرَمَى فِي قَلْبِهِ الشَّمْسَ،
وَقَالَ:

"أَقْتُلُ الْمَوْتَ،
أَرُدُّ الْأَرْضَ عَيْدًا،

عَصَبٌ يَطْفُرُ مِنْ غَيْبِوَةِ الدُّنْيَا) —

يَطِيرُ النَّسْرُ:

فِي خَفَقِ الجَنَاحِ الصَّلْبِ أَعْيَادُ
وَفِي عَيْنِهِ كَوْنٌ يَتَدِي.
فِي جَانِحِ يَلْتَمُّ عُمُرُ الفَرْقَدِ
فِي جَانِحِ تَلْتَمُّ شَمْسٌ مِنْ غَضَبٍ —
إِنَّهُ الجِرْحُ الذِّي يَغْسِلُنَا:
نَزَفَ الجِرْحُ عَلَى الدُّنْيَا هَلْبٌ...

(١٩٨٩ / ٤ / ١)

نهر الموت

(إلى شهداء المجزة)

- ١ -

سألَ الدمعُ على ألسنةِ الشمعِ
وأغصانِ الزيتونِ.
عبّرتُ صلواتُ
من تاريخِ القَهْرِ
إلى طُرُقَاتِ القَهْرِ المكنونِ...

مَنْ يَبْحَثُ فِي الظُّلْمَةِ عَنْ قَمَرٍ؟
 (قَمْرُ اللَّيْلِ انْحَلَّ ضِيَابًا فَحَمِيًّا
 وَرِصَاصًا زَنَّرَ خَاصِرَةَ الْفَجْرِ
 وَرَصَّعَ أَجْفَانِ النَّوْمِ
 عَلَى خَاصِرَةِ الطَّرِيقَاتِ.)
 نَهْرٌ... وَيَفُورُ الْقَهْرُ...
 نَهْرٌ... وَيَفُورُ النَّهْرُ -
 يَخْتَرِعُ الْمَوْتَ مَلَائِكَةً وَشَيَاطِينَ
 وَيُرْسِمُ أَقْمَارًا مِنْ هَبِّ وَحَدِيدٍ.
 مَنْ يَبْحَثُ فِي الظُّلْمَةِ عَنْ قَمَرٍ؟

صَهَلَ المَوْتُ يدوسُ بِجَافِرِهِ وَجْهَ اللّيلِ.
صَهَلَ اللّيلِ...

- ٢ -

بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الشَّاهِدِ لَيْلٌ...
طُرُقَاتٌ... تَارِيخٌ مِنْ رَمْلِ...
وَدَهْوَرٌ صَحْرَاءٌ...
بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الشَّاهِدِ
نَهْرُ الحُلْمِ وَوَرْدُ اللّهَبِ:

يَتَحَوَّلُ صَوْتُ الْفَجْرِ شَمِيمَ دِمَاءٍ.
بَيْنَ النَّاسِ وَعَوْدُ الْحَقَبِ
وَرَعْدٌ مِنْ تَارِيخِ الْغَضَبِ...
يَتَحَوَّلُ صَوْتُ الْفَجْرِ غَيُومَ دِمَاءٍ...

سَالَ اللَّيْلُ عَلَى أَلْسِنَةِ الشَّمْعِ
وَأَغْصَانِ الزَّيْتُونِ.
عَبَّرَتْ صَلَوَاتُ
مِنْ تَارِيخِ الْقَهْرِ

إلى طُرُقَاتِ القهرِ المكنونِ...

- ٣ -

الليلُ تَنفَّسَ ليلاً مفتوحًا في عَتَمَاتِ الأشياءِ.

الليلُ تَنشَقَ فجرًا مفتوحًا

وتنشَقَ نَظْرَاتِ الطاغوتِ / يمرُّ

على العصرِ. يُفجِّرُهُ.

ويفجِّرُ ما يتدافعُ من أحلامٍ

في ذاكرةِ التاريخ -

على الوجهِ البالي وجهُ

يَقصِدُهُ البحرُ ليرمي فيه السمكَ الميتَ.

على الوجهِ الباليِ حِقْدٌ وشظايا -
 الليلُ يقوُدُ الليلَ إلى مَزْرَعَةٍ لِضَحَايا،
 يتنَشَّقُ نَظْرَاتِ الطاغوتِ
 وأحلامَ الطاغوتِ
 وَقَهْرَ الأجيالِ المنسوجِ على تَهْرِ الموتِ/
 لدينا مِفْتَاحُ
 يتنَقَّسُ في ثَقْبِ العَصْرِ.
 يدورُ المِفْتَاحُ على القلبِ -
 يظلُّ القلبُ رِتاجًا

والليلُ رِتاجًا
 والطاغوتُ رِتاجًا من حِقْدٍ ودمازٍ -

عَصْرٌ يَذْرُفُهُ الصَّمْتُ
وَتَحْمِيهِ دِمْنٌ وَبَوَازٌ...

سَالَ اللَّيْلُ عَلَى أَلْسِنَةِ الشَّمْعِ
وَأَغْصَانِ الزَيْتُونِ.
عَبَّرَتْ صَلَوَاتٌ
مِنْ تَارِيخِ الْقَهْرِ

إِلَى طُرُقَاتِ الْقَهْرِ الْمَكْنُونِ...

- ٤ -

فَجُرُّ الوَعْدِ على الحَدَقَاتِ
 وفي أَسْفَلَتِ الليلِ المَفْتُوحِ.
 وَعَدُّ... وتمرُّ رِيحُ الآتِي
 في ملكوتِ الوطنِ المذبوحِ.
 وَعَدُّ الفجرِ يسيلُ على ألسِنَةِ الشَّمْعِ/
 هنا الغَضَبُ

جَمْرٌ وَبَحْرٌ،
 وهنا اللَّهَبُ،
 وهنا الوَرْدُ غيومُ الغَسَلِ
 يُحَرِّرُ عَصَرَ التَّغْيِيرِ -

هنا العَضْبُ... .

فَجُرُّ الوَعْدِ على الطُرُقَاتِ

تَسَلَّلَ في الصَّلَاواتِ

وفي السَّنَوَاتِ

وفي أعماقِ الرِّيتُونِ.

نَبَتَ الوَعْدُ المَكْنُونُ

شَعْبًا من نارٍ

تَتَنَفَّسُهُ النارُ فَيَلْتَهَبُ القَدْرُ.

صَهَلَ الفَجْرُ تُرْزِرُهُ بَشْرُ.

صَهَلَتْ زَوْبَعَةُ الرَّفْضِ

تُحَطِّمُ بُرْجَ المَوْتِ

وَيَعْقُبُهَا الْمَطَرُ...

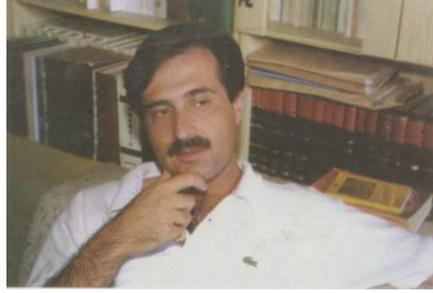
يَلْتَهُبُ الشَّمْعُ وَأَغْصَانُ الزَّيْتُونِ.

يَلْتَهُبُ الْفَجْرُ الْمَكْنُونُ.

(١٩٩٠ / ١٠ / ٣)

الفهرس

ص ١	قصيدة الشيء
ص ٢٠	الهباء
ص ٣١	الصقر والحجر
ص ٣٩	قيامة
ص ٤٧	نهر الموت



سيأتي زمنٌ
يهبطُ فيه الفجرُ من الليلِ
ويجلسُ قربي (يولدُ في الخمرِ
وعيناهُ عنبٌ
ويداهُ دَوالٍ...)
يأتي زمنٌ
يحملُ في الشاعرُ من حبرِ قصيدتهِ
جسدَ الجنةِ
أو... مطرَ التكوينِ...